من الموصـــولات الاسميـــة المشـــــتركة (مَنْ، مَا)
دراســـــة نحويـــــة تطبيقية من خلال القرآن الكريم

أ ـ ربيعة أبوعجيلة الشريقي ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المُقدمـــــة :

بسم الله الحميد ، والصلاة على سيدنا محمد عليه أفضل الصـــلاة والســلام وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

يُعـــدُّ القــرآن الكريم المصدر الأساس الأول لقواعد النحو، واللغة ، ولم ثبت قاعدة نحوية ، وتُعدُّ شاذة إذ لم تكن لها حجة من القــرآن.

فقد أردت في هذا البحث أن أدرس بعضًا من الأســماء الموصلة المشتركة (مَنْ، مَا) من خلال القـــرآن الكريم ، حاولت التعريف بالاسم الموصول وأقسامه، كما حاولت جاهدة دراســة (مــَنْ) من حيث التعريف والتكبير وإثبات نكرتها ، وفي البحث- أيضًا - درست، (مَنْ، ومَا) صفة من يعقل ، كما تناول البحث دراسة (ما) من حيث اسميتها وحرفيتها.

وجاء هذا البحث على النحو الآتي : المطلب الأول : التعريف بالموصول وأنواعه، وسبب تسميته ، والمطلب الثاني : (مَنْ) بين التعريف والتنكير ، والمطلب الثالث :(مَا) بين الاسمية والفعلية، والمطلب الرابع : استعمال (مَــنْ ، ومَا) صفة من يعقل.

أهميـــة البحث:

1- تكمن دراسة النصوص العربية وأجلها شأنًا وبلاغة ألا وهو القرآن الكريم.
2- التعدد الدلالي لدى الكلمة الواحدة.
3- دور اختلاف الآراء آثارها الدلالية في القرآن الكريم.

أهـــداف البحث:

يهدف البحث إلى مواضيع عدة منها:

1- بيان أهمية الكلمات ذات المعاني المختلفة.

2- تشكيل دلالات المفردات ذات المعنى المختلف لتشكيل دلالة الشكل العام والدلالة القرآنية بشكل خاص.

3- الوقوف على العلاقات التي تربط بين المفردات المختلفة.

أما المنهج المستخدم في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي.

المطلب الأول ـ التعريف بالموصـــــول وأنواعـــــه:

تعدُّ (مَنْ) و(مَا) من الموصولات الاسمية ، وتدخل ضمن المعارف الست وهذه المعارف هي : الضمائر، العلم، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة .

معنى الوصل لغة : وصلت الشيء وصلًا، والوصل خلاف الفصل [1] وصل اسم المفعول لغة موصول من وصل الشيء بغيره إذا جعله من تمامه [2].

وصل الشيء بالشيء : بمعنى ضمه به ولامه ، ووصل الشيء إليه : أنهاه إليه وأبلغه إياه [3] مع أخذ وصل : وصلت الشـــيء من باب وعد ووصل إليه يصل وصولًا، أي :بلغ وقيل : بمعنى اتصل[4].

تعريف الاســـم الموصـــول اصطـــلاحًا : هـــو الاســـم الذي بعين مسماه يقيد الصلة المشتملة على عائد [5]، وقيل : هو الاســـم المبهم الذي يحتـــاج في توضيحه وتعيين المراد منه إلى شيء يتصل به ، ويسمى العائد [6] وهو : ما افتقر إلى الوصـــول بجملة خبرية أو ظرف أو مجرور.، أو وصف صريح ، وعائد أو خلته،[7]

وقد يجتمع الظـــرف والمجرور كقوله - تعالى - : **وَلَـــه ومَن فِـــي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ** .[8]

وهـــو : الاسم يجـــوز أن يقع فاعلًا ، ومفعولًا ، ومضافًا إليه ومبتدأ ، وخبرا ، لأنَّه لا يتمُّ بنفسه ، ويفتقر إلى الكلام بعده تصله به ، لذلك يأخذ حكم سائر الأسماء التامة[9].

أقســـام الاسم الموصـــول :

ينقسم الموصول إلى قسمين:

1 ـ **الاسم الموصـــــول الخاص :** وهو الذي ينفرد ويُثنى، ويُجمع ويُذكر، ويُؤنث، حسب مقتضى الكلام. [10]

2 ـ **الاسم الموصول المشترك** : وهـــو ما يكون بلفظ واحد للجميع فيشترك فيه المفرد والمثنى، والجمع والمذكر، والجمع والمذكر والمؤنث، ومن الموصولات المشتركة (مَن، ما، ذا، أي، ذو). [11]

والاسم الموصول المشترك ينقسم إلى عام (المشترك)، وخاص. [12]

المطلب الثانـــــي ـ (مَنْ) بين التعريف والتنكـــــير :

اختلف النحاة في (مَنْ) بين تعريفها، وتنكيرها، وأشار أعلى النحاة على أنَّها معرفة بدليلين هما:

الدليل الأول : جملة الصلة، ذهب علماء النحاة بالقول إلى أنَّ الأسماء الموصولة، أو أسماء الصلات سميت بهذا الاسم لافتقارها إلى صلات توضيحية[13]، ومن المعروف أنَّ هذه الصلات لا تكون إلا جملة، وهذه حجة باطلة؛ لأنَّ النحاة يجمعون بأنَّ الجملة نكرة، أو في حكمها، يقول (ابن جني):"وذلك أنَّ الجمل نكرات، ألا تراها تجري أوصافًا على النكرات؛ لأنَّه قد ثبت أنَّ الجمل نكرة ومحال أن توصف المعرفة بالنكرة" [14] لا يجوز أن تتعرَّف من الموصولة بجملة الصلة، فجملة الصلة نكرة، ويعدُّ هذا خلافا للمنطق، وهذا ما أيده (الرضي) بقوله: "إنَّ الجمل نكرات فكيف تُعرَّف الموصولات وتخصصها " [15]، والدليل على عموم (مَنْ):

أولها: دلالاتها على العموم كقوله تعالى: (**إِن كُلُّ مَن فِـي اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِـي اِلرَّحْمَٰنِ عَبْداً**)[16] جاءت دلالة (مَنْ) على العموم موصوفة لوقوعها بعد (كل) و(في السموات) صفتها.[17] وقوله : " **وَمِنَ الناس مَنْ يَّقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ اِلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** " [18] فالمراد في الآية الصفة هنا ولم تستعمل صفة النفاق لشخص معين أو لأعيان الناس، بل صفتهم، أي كل من اتصف بهذه الصفة صفة النفاق.

أينما استعملت (مَنْ) دلت على التنكير والعموم ، كقولـــه – تعالى- : (**لَّقَدْ كَفَرَ اَلذِينَ قَالُواْ إِنَّ اَللَّهَ هُوَ اَلْمَسِيحُ اِبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَّمْلِكُ مِنَ اَللَّهِ شَيْـاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُّهْلِكَ اَلْمَسِيحَ اِبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِـي اِلْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلهِ مُلْكُ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَـىْءٍ قَدِيرٌ**) [19] وقوله : (**لَّا يَعْلَمُ مَن فِـي اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ اِلْغَيْبَ إِلَّا اَللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**)[20]، وقوله – تعالى - : (**وَقَالُواْ لَنْ يَّدْخُلَ اَلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَـرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**)[21]،وقوله :(**وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِـي اِلْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اَللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**)[22] فـ (مَنْ) نكرة عامة ؛ لأن المقصـــود جميـــع من اتّصفوا بأنهم يهود أو نصارى ، وقولـــه – تعالى - : (**سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَآ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً**)[23] ، والمعنى جميع من أرسلوا من قبلك من المرسلين كائنا من كانوا.

أما الدليل الثانـــــي : فيرى بعض النحاة أنَّ (مَـــنْ) تأتي معرفة عندما تكون بمنزلة (الذي) فيقول (ابن يعيش): "وأما (مَنْ) فإنَّها تكون بمعنى (الذي)، وذلك نحو قولك: جاءني من عندك ، أي : الذي عندك، ومنهم من يمشي بمعنى : الذي يمشي"[24]

، الحقيقة عكس ذلك لو قلنا: نجح الذي درس، تعين أن يكون المراد أحد معنيين: العهد الفردي العائد على شخص بعينه، والتقدير نجح فلان، أو العهد الجنسي، والتقدير: نجح الدارسون، أما إذا قلنا :نجح مَنْ درس تعين أن لا يكون المراد أحد هذين التقديرين، بل وجب إرادة معنى التنكير والعموم، أي وجب أن يكون التقدير نجح مَنْ درس، أي لا يصح أن تحل (مَنْ) محل (الذي) في التراكيب التي هي في سياق التعريف والتعيين، لا في سياق التنكير والعموم ؛لذلك صح أن يُقال: نجح زيد من درس أو نجح الطالب من درس.

كما لا تحل (مَنْ) محل (الذي) لتكون مبتدأ، والدليل على ذلك ما جاء به الذكر الحكيم في قوله – تعالى - :(**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)[25]، وقوله – تعالى - : (**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**)[26] فالقرآن استعمل (الذي) بدل (مَنْ) الموصولة في هذه الآيات ؛ لأنَّه تعين فيه معنى التعريف.

وقوله - تعالى - : (وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ [27]، وقوله – تعالى - **:(قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ**)[28] وقوله - تعالى - : (**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ...)**،[29] ففي هذه الآيات ونحوها لا يصح أن تحلَّ (مَنْ) الموصولة محل (الذي)، أو (الذين)؛لأنَّهما وقعتا صفة للاسم المعرفة قبلها، و(مَنْ)الموصولة لا تصح أن تكون صفة لموصوفها ؛ لأنَّها نكرة والموصوف معرفة؛ قد يجوز إحلالها محل (الذي) و(الذين)، إذا حولنا موضعها الوصفي إلى موضع البدل ؛لجواز مجيء البدل نكرة من معرفة.

إذا وضعنا (مَنْ)الموصولة موضع (الذي) في الآيات السابقة ، وقيل في الكلام : يأيها الناس اعبدوا ربكم من خلقكم ، وقيل إذ قال إبراهيم من ربي يحي ويميت ، واتقوا الله من أنتم، وأنَّه لكبيركم من علمكم السحر، وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان من يقولون ربنا الله.. فلا تعرب مبتدأ في هذه الآيات بل وجب إعرابها بدلًا؛ لأنَّ استعمال (مَنْ) الموصولة لا يُلائم الظاهر من المعنى المراد، ولا يلائم السياق في هذه الشواهد القرآنية، حيث يتحوَّل السياق من

التعريف إلى التعيين، إلى التنكير والعموم، وهذا خلاف الأصل والأغلب، فلا يصح إذاً استعمال (مَنْ)الموصولة بدلًا من (الذي) أو (الذين) في الشواهد السابقة.

إنَّ (مَنْ) الموصولة، و(الذي) و(الذين) ليست بمعنى واحد، وأنَّها لا تدل على فرد بعينه، ولا على جنس بعينه، بل نكرة دالة على معنى الجمع والعموم.

ومن النحاة من يجعل (مَنْ) الموصولة بمنزلة (الذي)، إلَّا أنَّه قد تبين أنَّ (مَنْ) تستعمل للعموم، بينما تستعمل (الذي) لأمر معين.

وتبين من كلام النحاة أنَّ (من) ليست أداة للتعريف، و(الذي) وفروعها مثل (أل) أداة للتعريف ويُقسم النحاة (أل) للتعريف قسمين: عهدية ويراد بها فرد معين، و(أل) جنسية ويراد بها أفراد الجنس أو هي لاستغراق الأفراد [30]، ويقول (ابن هشام): "إنَّها لتعريف العهد فإن الأجناس معهودة في الأذهان متميز بعضها من بعض، ويقسم المعهود إلى شخص وجنس"[31].

ذهب جمهور النحاة إلى أنَّ الاســـم الموصول لم يتعرف بــ: (أل) ؛ بل بجملة الصلة التي عرفته ، وأزالت إبهامه، ولكن كيف يصح هذا والجملة عندهم نكرة؟!

وقد قال (ابن الحاجب):" والموصول لا ينفك عن جعل الجملة التي معه في معنى اسم معرف، فلو حُذف لكانت الجملة نكرة "[32]، هذه حجة واضحة على أنَّ الاسم الموصول (الذي) هو الذي عرف الصلة فـ(من) الموصلة لو لم تكن نكرةً عامةً، لما كانت بإجماع النحاة تجيء بمعنى (الذي)، (التي)،(واللتان)، و(اللذان)، (الذين)، و(اللائي)، بل عُرفت بصفة عامة، ويجمع معانيها بأنها اسم مبهم. [33]

صـــرح (ابن يعيش) بنكرة (من) الموصولة بقولـــه :" اعلم أنَّ (من) لفظها واحد اسم مبهم يقع على ذوات ما يعقل "، وقال:" اعلم أن (من) لفظها واحـــد مذكر لفظها واحد مذكر، ومعناها معنى الجنس ؛لإبهامها ".[34]

ومن أدلة (من) على نكرتها مجيئها بمعنى الاستفهام الإنكاري ، كقوله – تعالى - : **(قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّنْ يَّهْدِے)**.[35]، وكثيرًا ما تقع (من) مبتدأ مؤخر كـقوله تعالى: **(وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم)**[36](من يريد الدنيا)، (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ومنكم شبه جملة خبر مقدم، وهذا هو إعرابها في كل موضع تقدم عليها الخبر، وهو شبه جملة كـ(من) في قوله - تعالى- : **(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّشْرِے نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ)**[37]، وقوله**:(وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَنْ يُّنكِرُ)**[38]، وقوله- تعالى - : **(مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ)** [39]، وقوله –تعالى - : **(وَمِنكُم مَّنْ يُّتَوَفَّيٰ وَمِنكُم مَّنْ يُّرَدُّ إِلَيٰٓ أَرْذَلِ)**[40].

المطلب الثالث ـ (ما) بين الاسميـــــة والحرفيـــــــــــة:

(ما)من الأسماء الموصولة، وهو الموصول المشترك، الذي لا يختص بنوع معين إنَّما يصلح للواحد و غيره، دون صيغته والصلة هي التي تحدد المراد، وتستعمل مع العاقل كقوله :(**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُۖ**)[41]. (ما) مفرد صالح للمثنى والمجموع والمؤنث، فإنَّ عني بهما أحد هذه الأشياء، فمراعاة اللفظ فيما يعبر عنهما من الضمير والإشارة نحوهما، أكثر و أغلب، إنما كان كذلك؛ لأنَّ اللفظ أقرب إلى تلك العبارة المحمولة عليهما من المعنى، إذ هو أي اللفظ صلة إلى المعنى، وكذا في غير (ما).[42]

وتأتي (ما) حرفية وتكون مصدرية ظرفية [43] نحو: (لا أصاحبك مادمت منطلقا)[44]، وغير ظرفية لقوله ـ تعالى ـ : (**مَا دُمۡتُ حَيّٗا**)[45]، وقوله:(**بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ**)[46]، فالآية الأولى معناها مدة دوامي، وغير الظرفية نوصل بالماضي نحو: عجبت مما ضرب زيدا، وبالمضارع نحو: لا أصْحَبك ما تقوم زيد[47]،وقوله: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[48]، فـ(ما) مصدرية، أي بالأمر [49]، قوله: (مَا دُمْتُ حَيّاً)[50]جاءت (ما) موصولة حرفية زمانية ظرفية، أي مدة دوامي.[51]

وتأتي (ما) اسمية وهذا هو الرأي الأغلب، فهي من الأسماء الموصولة المشتركة (العامة) التي يقصد بها ما ليس نصًّا في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض وليس مقصورًا على بعضها؛ وإنَّما يصلح للأنواع كلها.[52]

ومن معاني (ما) الاسمية أن تأتي بمعنى (الذي)، وتكون معرفة ناقصة، تفتقر إلى صلة وعائد [53]، وتستخدم مع غير العاقل على اختلاف نوعه وعدده؛ وقد تستخدم مع العاقل [54] نحو: يعجبني ما تصنع، أي يعجبني الذي تصنع. قال ـ تعالى- : (**وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ**)[55] فقوله " **ما أنزل** " في هذه الآية لها ثلاثة أوجه من الإعراب:

الوجه الأول: إنَّ (ما) اسم موصول بمعنى (الذي) ، فهي في موضع عطف على (السحر).[56]

الوجه الثاني: إنَّها في موضع نصب بالعطف على (ما) في قوله: (**وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۖ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَۚ ۝ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَۚ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ**)

عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ)[57]، أي : واتبعوا ما أنزل على الملكين دون تحديد لما أنزل على الملكين.

الوجه الثالث : إنَّها في موضـــــع جر بالعطف على (**عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ**)[58]، ولكون (ما) موصولة فإنَّ (**هَارُوتَ وَمَارُوتَ**) عطف بيان. وقوله – تعالى - : (**أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**) [59]، (ما) اسم موصول بمعنى (الذي)[60]، فهي في موضع نصب عطفًا على (من في السموات)، وعائدها محذوف، و(شركاء) منصوب بـــ(يدعون)، وعائد (الذين) الواو في(يدعون) [61]، أو (**شركاء**) منصوبة على الحال من الضمير المحذوف في (يدعونهم).[62]

وقوله : (**فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا**)[63](ما) اسم موصول بمعنى (الذي)[64]مرفوعة بالابتداء[65]، واختلف في الخبر فقيل إنه الظرف (من قبل)، أو (في يوسف) متعلق بـــ (فرطتم).

وقوله تعالى: (**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ**...)[66](ما) اسم موصول بمعنى (الذي) في محل نصب عطفا على الضمير الغائب المنفصل في (اعتزلتموهم)، والعائد على الموصول محذوف.[67]

وقوله - تعالى - : (**قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**)[68](ما) اسم موصول بمعنى (الذي) في محل نصب مفعول به، والعائد محذوف تقديره: الذي أنت قاضيه.[69]

المطلب الرابع: استعمال (من، وما) صفة من يعقل:

بيّن النحاة المعنى الذي استعمل له كل اسم من الأسماء الموصولة فـ(الذي) يقع على كل مذكر من العقلاء غيرهم، وجمعه(الذين)،و(التي) هي عبارة عن كل مؤنث عاقل وغير عاقل، وجمعها (اللاتي)[70]، وأما (من)و (ما) الموصولتان فقد عرفهما (ابن يعيش) بقوله:" وأما (من) فإنها تكون بمعنى (الذي) إلا أنها لا تكون إلا لذوات من يعقل...وأما (ما) فتكون موصولة بمعنى (الذي) وهي تقع على ذوات ما لا يعقل و على صفات من يعقل، وقد ذهب بعضهم إلى أنها تقع لما يقع بمعنى (من) و احتج بقوله: (**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ**)[71]، وقوله: (**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْهَا**)[72]، فقوله (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ) بمعنى الطيب منهن، وأما قوله (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْهَا) بمعنى الباني لها.[73]

وقال: " قد تقدم أن (ما) تقع على ذوات غير الأناسي، وعلى صفات الأناسي "[74]، ويشير (فاضل السامرائي) بقوله: " (ما) وتقع ذوات ما لا يعقل، وعلى صفات من يعقل،

فمن الأول: آكل ما تأكل... والثاني: قوله (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ)، أي الطيب منهن.. إنَّ (من) مختصة بالعقلاء، و(ما) فهي تقع لذوات ما لا يعقل، لصفات العقلاء "[75] والعرب إذا أرادوا التعبير عن صفة الموصوف العائدة على العاقل استعملوا (من)، وإذا أرادوا التعبير عن ذات الموصوف، عاقلا كان أم غير عاقل، استعملوا (الذي)، و(التي)، أما الجمع منهما فلذوات من يعقل، ولما كان المراد من (الذي) الذات واقتضى تعيين هذه الذوات في الكلام، إما عهدا، إما جنسيا ظاهرة، أو مقدرة، ذلك أنَّ التعبير عنها لا يتحقَّق إلَّا من بتعيينها.

أما (من) فلم تضع للذات، بل المراد صفتها، فقد اقتضى ذلك عدم تعيين هذه الذات، لذلك لزم حذفها، أي حذف الموصوف، وإذا أريدت الصفة لزم إمامها، لأنَّه يلزم أن يراد منها كل من اتصف بها.

ولتوضيح ذلك في قوله: (**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ**)[76]، إنَّ (ما) بمعنى (من) [77]، وتأتي (ما) بمعنى (الذي) في الآية السابقة فهو صحيح ؛ ولكنه استعمل (ما)؛ لأنَّها أوسع منها في العموم، و المقصود بالنساء هنا فانكحوا أي نوع كان من أنواع جنس النساء الطيب، والأبكار، الأرامل ، والمطلقات، والعوانس.

واستعملت (ما) في الآية السابقة صفة من يعقل، فليس صحيحا أيضا؛ لأنَّ (من) تستعمل لصفات العقلاء، فلو أراد الذات، لا تستعمل (التي) لا (من)، وقال: فانكحوا المرأة التي طابت؛ وكيف يصح في (من) إرادة الذات، وهذه الذات لا يصح إظهارها مع (من)، ولا تقديرها؛ فلا يصح التقدير فانكحوا المرأة التي طابت.

ومجمل القول في هذه القضية:

إنَّه إذا أراد أعيان النساء وأشخاصهن لاستعمل (اللاتي) أو (من) وقال : فانكحوا من طاب، وإذا كان المراد بذات الفرد لاستعمل (التي) سواء أكانت للعهدية أم جنسية، وقال: فانكحوا التي طابت، وفي كليهما يعني الأفراد والتعيين ؛ فالأول يعني المرأة بعينها، والثاني يعني الجنس بعينه، وإذا أراد ذات الجنس لاستعمل (الذي)، أي بمعنى الجنس المفرد المذكر والتقدير: (فانكحوا الجنس الذي طاب، فالآية استعملت (ما) للتعبير عن صفة الجنس؛ لذلك ذكّر الضمير العائد ولم يؤنثه[78]، فالمراد من الآية كل فرد موصوف بها من غير تحديد، وفي ذلك معنى الجميع والعموم، والتقدير فانكحوا أي امرأة كانت طابت لكم.

الخاتمـــة:

بتوفيق من الله وحمده، ألخص ما جاء في هذا البحث:

1 ـ من خلال تعريف الاسم الموصول، وبيان عرض استعماله تبين أن يكون لكل اسم موصول موصوف ظاهر أو مقدر.

2 ـ استعمال (مَن) تعبيرًا عن صفة.

3 ـ استعمال (مَن، ما) الموصولتين يتعديان حدود الزمان والمكان، وهذا ينسجم مع طبيعة القرآن الكريم.

4 ـ تنوع (ما) بين الاسمية والحرفية.

5 ـ من معاني (ما) الحرفية أن تكون مصدرية ظرفية وغير ظرفية.

الهوامـــــــــش:

1 ـ لسان العرب، لابن منظور، ج12، 726، الناشر دار صادر ـ بيروت ـ تاريخ الطبعة: 2010م.

2 ـ معاني النحو، للسامرائي، 128، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ الأردن ـ، ط1، 2000م.

3 ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط5، 2004، مكتبة الشروق الدولية.

4 ـ المختار الصحاح، للرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، الناشر مكتبة لبنان.

5 ـ دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف عبد الله بن صالح الفوزان، 1 /67

6 ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، 1 /150، تح/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية.

7 ـ شذور الذهب لابن هشام ص174، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع.

8-الأنبياء19.

9-شرح المفصل، لابن يعيش،371/2، تح/إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2001م.

10-شرح ابن عقيل على ألفية، ابن مالك 66/1، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط14، مطبعة السعادة مصر.

11-شرح ابن عقيل، مصدر سابق.

12 شرح ابن عقيل، مصدر سابق.

13-أسرار العربية، للأنباري، 380/379، تح / محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقي دمشق.

14-سر صناعة الأعراب، لابن جني،354/1،353، تح /حسن هنداوي دار الكتب العلم، دمشق 1980.

15-شرح كافية ابن الحاجب للرضي،90/3 تح، إميل بديع يعقوب الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت 2001م.

16-مريم 94.

17-الكشاف عن غوامض التنزيل، للزمخشري، 44/3حققه: محمد عبد السلام شاهين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت،2003 م.

18-البقرة، 7.

19-المائدة، 17.

20-النمل، 67.
21-البقرة، 110.
22-إبراهيم، 10.
23-الإسراء،77.
24-شرح المفصل لابن يعيش، مصدر سابق.
25-البقرة، 20.
26-البقرة، 257.
27-المائدة، 90.
28-طه، 70.
29-النساء، 74.
30 الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي،195، تح /فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1992 م.
31-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام50/1، تح / محمد محيي الدين.
32-الامالي النحوية لابن الحاجب 2/ 835، تح /فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.
33-الصحاح1005، مصدر سابق
34-شرح المفصل، مصدر سابق.
35-يونس، 35
36-آل عمران،152
37-البقرة، 205.
38-الرعد، 37.
39-الأحزاب، 23.
40-الحج، 5.
41-الحشر،1.
42-اوضح المسالك، مصدر سابق.
43-شرح ابن عقيل، مصدر سابق.
44-شرح ابن عقيل، مصدر سابق.
45-مريم، 30.
46-ص، 25.
47-شرح ابن عقيل، مصدر سابق.
48-الحجر، 94.
49-المغنى، مصدر سابق.
50-مريم، 31.
51-الكتاب لسيبويه 108/3، حققه إميل بديع يعقوب، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999م.
52-النحو الوافي لعباس حسن341/1، الناشر: دار المعارف، ط15.
53-شرح الكافية، مصدر سابق.
54-شرح الكافية، مصدر سابق.
55-البقرة، 101.
56-البيان الغريب في إعراب القران،1 /114
57-البقرة، 101/ الكشاف في1/.173
58-معاني القرآن للزجاج 336/1، تح عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة 2004 م.

59-يونس، 66.
60 –الكشاف 357/2، مصدر سابق.
61-إعراب القرآن، مصدر سابق.
62-الكشاف /547، مصدر سابق.
63-يوسف، 80.
64-الكشاف 495/2.
65-معاني القرآن، مصدر سابق.
66-الكهف، 16
67-إعراب القرآن، مصدر سابق.
68-طه، 71.
69-الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني، 436/3، تح نظام الدين الفتيح، 2006 م.
70-شرح المفصل، مصدر سابق.
71-النساء، 3
72-الشمس، 5.
73-شرح المفصل، مصدر سابق.
74-شرح المفصل، مصدر سابق.
75-معاني النحو للسامرائي120/1، ط1، دار إحياء الثرات العربي بيروت، لبنان، 2007 م.
76-النساء،3.
77-معاني القرآن، للزجاج2 /70.
78-جامع البيان للطبري 542/1، تح/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2001 م.